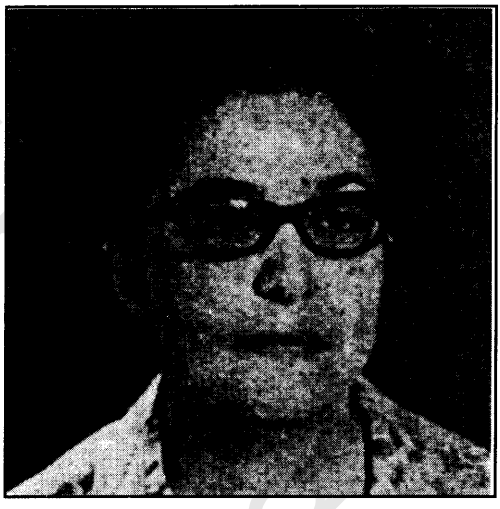

ثريا ملحس

العقدة السابعة وملحمة الإنسان

obeikandl.com

obeikandl.com

إن كنت من الذين لا يؤمنون بالرؤى فلا تقرأ.

وإن كنت من الذين لا يحسون.. ولا يعيشون تجاربهم، في اليقظة كانت أم في حلم.. فلا تقرأ...!

وإن كنت من المتزمتين الذين ينيرون دروبهم بقناديل من زيت وفتيل.. فلا تقرأ...!

وإن كنت امرءاً حرجاً ركيناً.. تقف الساعات الطوال.. لا تتزحزح، ولا تسافر الحركة في أخاديد وجهك فلا تقرأ...!

وإن كنت لا ترى للنفس مخارج سوى ما حدد لها في عالم كله مقاييس، حيث تتساوى الخطوط جملة.. بليدة.. فلا تقرأ...!

وإن كنت من الذين لا يؤمنون بالكلمة تحمل أغواراً.. وأبعاداً متخطية الجسد، فلا تقرأ...!

قل ما تشاء...!

فهذه تجاربي.. وهي خاصة بي ـ عشتها صوراً.. وشعوراً، في كل عرق من عروقي، وفي كل ذرة من كياني...

ـ بهذه الانطلاقات النفسية الصريحة قدمت ثريا ملحس كتابها «العقدة السابعة»، الذي يحوي بين دفتيه ستة عشر لوناً من ألوان الأدب المشع بصهر

النفس بالتجارب الحية، والانفعالات الصادقة، وبما يخطه قلم أديبة متمرسة في فنون الأدب، وفي لغة حية.. متجددة...

فإن ثريا ملحس أستاذة الأدب في كلية البنات ببيروت التي أثارت قضايا عدة، وقدمت أبحاثاً غاية في الجدية، وتمتاز كتابتها بعمق الفكر.. ومدلول الكلمة،

والتي تعبر عنها بقولها في لوحتها:

«قوالب صغيرة»:

«خصصتني بالكلمة التي تغلي.. تفور في صدري..

تتفجر.. فتلقى هذه التفجرات وتفرح بها وتباركها..

هبتك لنا يا رب.. هبتك لنا القدرة على الكلمة..

لولاها.. لانهارت الإنسانية جمعاء..

ومشت جوفاء.. بلا قلب.. بلا عقل.. فالكلمة..

تتراقص.. تصعد وتهبط..

تتجمد.. وتتقلص..

تثرى.. وتفقر..

تحيا.. وتموت..

وأنا في أمواج.. أبعادها.. أمشي..

أمشي.. حتى يلتف كياني كله تحت أخمص قدمي..

كرات كبيرة.. كرات كرات..

أمقت روائح التراب.. والزهور.. والصلوات الرتيبة..

لماذا أكون غريبة.. والطريق تتمطى.. وأناملي تتقلص أقزاماً رهيبة..؟

* * *

وتقول في تصويرها في «وانهارت الجدران»:

أبعدوا عني الشمس.. لأن الشمس علمتني الحياة..

أبعدوا عني القلم.. لأن القلم علمني الحرية..

أبعدوا عني النوم.. لأن النوم حقق لي الأحلام..

وهل أنسى الحياة.. إن لم أرَ الشمس؟..

وهل أنسى الحرية.. إن لم أحمل قلماً؟..

متى ننجو؟.. متى نحطم الجدران؟.. متى نسير..؟

معاً في صف واحد؟.. متى ترتفع أمتنا..

فوق السجون؟..

وعن الوطن تتغنى ثريا بوطنها، ويرتفع صوتها في ديوان «ملحمة الإنسان».

عن «**نهر الأردن**» تقول:

لو عاد عيسى.. في البشر..

ماذا تراه.. يسأل..؟

لو قال.. يا قومي.. ألم..

ترعوا.. بلاداً قدّست..

فاصفرَّ منّا أوجه؟..

رحنا بذكرى حالمة..

قلنا: مكان المولد..

فيها.. وذكرى المهدي..

في بيعة إنجيله..

في مسجد قرآن..

أنشودة لن تصمتا..

إلاّ لحقّ ينتصر..

* * *

يا قومنا لا تتركوا..

لصاً يواري نهركم..

نهر المحبة والسلام..

ويئن من جرح العداة..

نهر المحبة والصلاة..

* * *

وعن فلسطين:

أحدق أحدق..

يغيب في أذني الوجود..

أحدق أحدق..

تغيب في عيني القيود..

وأين أمي فلذتي..

أبي وإخوتي.. وعدت أذكر..

في ساحة في حقلنا دفنتهم..

يا ويلهم من ربنا..

حتى نعود ننتقم..

من غاشم..

بلا ضمير يا فلسطين الجدود..

* * *

obeikandi.com

وتتجلى روعة الصرخات الأنثوية حين تطلقها أديبة شاعرة وأستاذة الجيل إنها تصور الخليقة الجديدة وتتحاور معها:

نكبر وتكبر معنا القيود..

تكبِّلنا سلاسل الجدود..

تفرِّقنا عن المجد..

عن طريق عبَّدها إله..

ويكفر بالإله البشر..

لا يعرفون الجدود..

يكبرون ليبنوا..

ألف سد وسد..

كلهم رجال..

يخلقون لنا شرعاً وشرعاً..

ربي لِمَ خلقتني أنثى؟..

الرجل هو الذي جعلك أنثى..

سجدت له الكائنات..

وكذلك الأنثى..

لِمَ سميتني أنثى..

ولي عقل وقلب؟..

لي مثله عقل وقلب..

ـ الرجل هو الذي سمَّاك..

ليبقى سيداً..

أناني.. قال على لساني.. ما لم أقل..

- ماذا أفعل به...؟

مثله خلقناك..

- ولي عقل وقلب..

- مثله أعطيناك..

ولي عقل وقلب..

- لك الاسم والكون مثل ما له..

- يقول لي أموت..

إن بعد عني ظله..

- هراء هراء..

سأزيح الستار عن حقيقته..

وأهوي بالمطرقة على كبريائه..

ليفتح عيناً كبيرة..

تغور في محيطات الزمان..

* * *

وتعود «ثريا ملحس» لتقول عن الكلمة والقوالب الصغيرة:

لماذا أنا على أرض غير أرضي.. وتحت..

سماء ليست سمائي.. ومع نفوس جوفاء..

كأسنة.. تبدو خيوطاً واهية.. هلهلها..

الزمن.. مصص عرقها وقضقض عظامها..

والكلمة تنطلق من أفواهها سوداء..

obeikandl.com

تتبخر في العدم وللنفاق وجهان..

في تلك النفوس وجه أسود ووجه أسود..

وأعود إلى طفولتي وما أكاد أجمع..

ذكرياتي الحلوة وحريتي وتفوُّقي..

وأمي وأبي وأخواتي وإخوتي..

وأرضي وسمائي حتى تدفعني الأيدي..

الغليظة دفعاً إلى حاضري وتنتزعني..

نزعاً وتوقعني برعب هائل..

حاضري.. سجن أسود.. ذو ألف..

ألف قالب.. تبدو قوارب.. لاجتياز..

بحر الوجود وإن كانت أقسى منها وأجمد..

إن لم أنتقل فيها فعقابي صفعات ولعنات..

لا الزمان يصغي إليّ..

ولا العمر يعود بي إلى سنوات حبيبة..

سنوات طفولتي إلى الأرض أرضي..

حيث أتسلق التلال..

تلّتنا كانت عجيبة..

ليت الزمان يرجعني إلى طفولتي الصغيرة..

* * *

ثريَّا مَلْحَس

١ ـ مولودة في عمان ـ الأردن، أول نيسان، ١٩٢٥.

٢ ـ من أب فلسطيني وأم قفقاسية (روسية).

٣ ـ تلقت علومها الابتدائية في عمان، والثانوية في عمان والقدس، الكلية الإنكليزية.

٤ ـ تلقت علومها الجامعية في بيروت، ونالت شهادة جامعية متوسطة عام ١٩٤٥ من كلية بيروت للبنات بامتياز.

٥ ـ نالت شهادة بكالوريوس (B.A.) في الأدب واللغة العربية عام ١٩٤٧ بامتياز من الجامعة الأميركية ببيروت.

٦ ـ عام ١٩٥١ نالت شهادة الماجستير (M.A.) في الأدب العربي بامتياز. أطروحتها موضوعها: القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه. (نشر عام ١٩٦٤).

٧ ـ منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن تدرس الأدب واللغة العربية في كلية بيروت للبنات بدرجة أستاذ مشارك.

٨ ـ تزوجت عام ١٩٥٨ الأستاذ موسى سليمان، أستاذ الأدب واللغة العربية في الأنترناشيونال كوليج وفي الجامعة اللبنانية.

٩ ـ قضت عاماً دراسياً في جامعة لندن، قسم الدراسات الشرقية.

* * *